محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا
وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم
إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً وبالشرك استهزاء وخداعاً ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين
في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها
خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً
وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة
وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال
الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي
الجن جناً لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراك تقول في وزن قه افعل
وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان
ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من
يقول وهم عبد الله ابن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم
في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس
يقولون كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون
النبي فإن قلت كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم
جنساً واحداً وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما
من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت
بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص
بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم
في الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم
الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً
لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق
خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر
وأيضاً فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

١٤

وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق
قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني
في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى
إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون
طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم
في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل
القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك
وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد
التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من
الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز
أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية
وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
من قولهم ضب خادع وخدع ~~والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون~~ إذا أمرّ
[illegible] الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف
ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله واستمطروا
من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع
ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون
بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك
ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن
عارفاً بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقاً بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)